

الزرادشتية والكونفوشية - وعقيدة النبوة عند كلا منهما -

الأستاذة مريقي طارق

جامعة عمار ثليجي - الأغواط

إن من الديانات القديمة التي لاقت رواجاً كبيراً بين أهلها، حتى غدت جزءاً لا يتجزأ من مجتمعاتهم ، وقسماً ملتصقاً بفكرهم، ومفخرة لأتباعها رغم مجانبتها الصواب..! تلك التي نشأت في ربوع فارس (الزرادشتية) وفي بلاد الصين (الكونفوشية).

تعبد الفرس للإله (أهورا مزدا) فعرفت ديانتهم باسم المزدية واقتبسوا من بلاد ما بين النهرين الاعتقاد بوجود الأرواح ولما برز المصطلح زرادشت أعطاهم مفهوم التوحيد ونقلها إلى مرحلة التطبيق الأخلاقي

وقد تناول البحث بين دفتيه أبرز ما يعتقد -أصحاب الديانتين- في قضيتي (الأوهية والنبوة) إضافة إلى لحة مختصرة عن أبرز جوانب حياة مؤسسيها ، وما أورثوه لمن بعدهم من تعاليم تشكلت في كتبهم المقدسة.

المبحث الأول :

الزرادشتية :

مدخل:

هاجرت الشعوب الآرية (الميديون والفرس) من موطنها الأصلي، في أوائل الألف الأول قبل الميلاد على شكل موجات متتالية متجهة نحو الجنوب، واستقرت في الهضبة التي عرفت فيما بعد بالهضبة الإيرانية، فسكن الفرس في الجنوب الغربي من الهضبة شرق منابع نهر كارون، على ضفاف الخليج العربي بينما استقر الميديون في الشمال الغربي من الهضبة. وقد تأثر الوافدون الجدد بعبادات وتقاليد ومعتقدات الشعوب التي سكنوا إلى جوارها:

((السومريون، الأكاديون، الآشوريون...)) فاقتبسوا من تلك الشعوب بعض العادات والتقاليد بل حتى بعض المعتقدات الدينية، وعبدوا بعض ألهتهم. أما الآلهة الرئيسة التي رافقتهم من موطنهم الأصلي فكانت: ((ميثرا - مهر - مهرا - الشمس)).

إضافة إلى تقديس بعض قوى الطبيعة التي: كالأرض، والنار، والماء، الريح وقد نصب الكهان أنفسهم وسطاء بين الآلهة والبشر، يستطيعون نيل رضا الآلهة بطقوسهم، أوصب غضبهم وسخطهم على أعدائهم، فارتفعت مكانتهم، وعلا شأنهم اجتماعياً ومادياً.

وكان الشعب الميدي أسبق الشعوب الآرية التي استوطنت هضبة إيران إلى إنشاء دولة موحدة وقوية. فبعد أن بسط الميديون سيطرتهم على الشعوب والحكومات المحلية التي سكنت بينها، تمكن الملك الميدي "ديوكيس" (داكو)، في النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد، من توحيد القبائل الميديّة (27 قبيلة) وتأسيس الدولة الميديّة، واتخذ من مدينة " أكباتانا " (همذان) عاصمة له ثم أخذ في التوسع حتى بسط سيطرته على معظم منطقة ميديا وفارس، التي كانت تبسط

وقد أدى التوسع الميدي إلى الاصطدام مع الإمبراطورية الآشورية سيطرتها على معظم بلاد الرافدين وإيران وبلاد الشام حتى مصر، وقد تمكن الملك الميدي "كي أخسار" من القضاء على الدولة الآشورية سنة 612 ق.م

ومع اتساع رقعة الدولة والسيطرة على ثروات الإمبراطورية الآشورية وازدياد مواردها، انتشرت مظاهر البذخ والترف في الدولة، و بعد وفاة الملك "كي أخسار"، دب الضعف في أركانها لانصراف الملك "استياغ" (584-550 ق.م) _ الذي طالت فترة حكمه _ إلى اللهو والبذخ، وترك أمور الحكم لحاشيته، فازداد نفوذ الحكام المحليين الذين استقلوا بولاياتهم، وعظم شأن الكهنة ورجال الدين والمنجمين الذين أحاطوا بالملك وحاشيته، ليبرروا أعمالهم، وليتنبؤوا لهم

وفي هذه المرحلة المضطربة من تاريخ الدولة الميديّة أسست (الزرادشتية) لتكون ضرب من الإصلاح للديانة الوثنية في فارس على يد (زرادشت بستاما)¹

المطلب الأول: زرادشت حقيقة أم أسطورة..؟!

أختلف الباحثون بشأن شخصية زرادشت ، وتباينت الآراء حول حقيقة وجوده، وانقسم الباحثون بصدها إلى ثلاثة فرق:

- فريق ينكر وجوده ويجعله شخصية أسطورية نسجت حولها طائفة من العقائد والشرائع والعبادات والأخلاق . وهذا رأي القلة الذين لم يقدموا بين يدي مذهبهم دليلاً يعتد به.²
- فريق يرى أنه إبراهيم الخليل الذي ورد ذكره في التوراة والقرآن، وقد ساد هذا الرأي لدى كثير من أتباع الزرادشتية -خاصتهم وعامتهم- وليس لهذا الرأي دليل يعتد به بل الأدلة تتضافر على بطلانه، ومنها:

- البعد الزمني بين إبراهيم عليه السلام وزرادشت، فالأول كان ظهوره -في أصح الروايات- في حوالي القرن السابع عشر ق.م ، أما الآخر فقد عاش في القرن السابع ق.م -على الأصح-

- البعد المكاني :فإبراهيم عليه السلام قد نشأ في بلدة "أور" ببلاد الكلدان³ -جنوب العراق- على حين نشأ زرادشت في أذربيجان في بلاد إيران.

- اختلاف أماكن الإقامة والدعوة: فقد رحل إبراهيم إلى مكة وبنى الكعبة وأسكن بها أهله وذريته⁴، بينما لا يوجد دليل واحد على أن زرادشت عرف بلاد الحجاز أو رحل إليها¹.

¹ انظر: زرادشت والزرادشتية <http://www.tirej.inf>

² انظر: دراسات في الديانة الوثنية القديمة ، أحمد علي عجيبة، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الآفاق العربية 2004م) ص113

³ نظر: قصص الأنبياء، إسماعيل بن كثير، تحقيق: السيد الجميلي، الطبعة الثانية (بيروت: دار الجيل، 1410هـ)

⁴ قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دَرُيتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ)

ويظهر أن هذا الفريق قد أختلط عليه الأمر لمماثلة بعض مآذكره التراجم والأساطير
الفارسية

عن حياة زرادشت، لما تذكره الكتب المقدسة عن حياة إبراهيم ^{عليه السلام}.²
وبعد استبعاد رأي الفريقين السابقين يصبح من الأرجح الأخذ برأي فريق ثالث يذهب إلى:
• أن زرادشت شخصية حقيقية لاسبيل إلى إنكار وجودها³

ولدت في منتصف القرن السابع قبل الميلاد بأذربيجان - إحدى مقاطعات ميديا على مقربة
من بحيرة أورسيا- وأنه قد هاجر منها إلى بختري في شرقي إيران في مرحلة شبابه، ومات قتيلاً
بلغ حوالي سنة 583 ق.م وقد أعتمد أصحاب هذا الرأي على أدلة تاريخية يكاد بعضها
يصل إلى درجة اليقين⁴

المطلب الثاني: جوانب هامة في حياة زرادشت:

عندما بلغ زرادشت السابعة من عمره أرسله والده إلى (يور زين كورس) الذي
امتدت شهرته بالحكمة، وفاضت في جميع أنحاء إيران ليدرس بين يديه. وظل ملازماً له ثمانية
أعوام يتعلم فيها منه العقيلة والزراعة وتربية الماشية وعلاج المرضى.
وفي أعقاب الحرب التي نشأت بين الفرس والطورانيين - والتي تطوع فيها زرادشت وهو
في الخامسة عشر من عمره لمعالجة الجرحى من الجنود- انتشرت المجاعة واشتد المرض،
وازدادت الفاقة في جميع أنحاء فارس بالصورة التي كانت قائمة بها وقت الحرب.
ومن جديد تطوع زرادشت ليضع جهده وخبرته في خدمة الفقراء والمرضى من أبناء وطنه.

¹ انظر: الزرادشتية، مرجع سابق، ص 51-52 للاستزادة .

² خاصة فيما يتعلق بمحاربة كلا منهما لما كان عليه قومه من عبادة ما لاسحق . وأيضاً ما يتعلق بإلقاء كلا منهما في النار وجعلها برداً وسلاماً عليه..

³ انظر: الإنسان في ظل الأديان، عمارة نجيب (الرياض، مكتبة المعارف، 1400هـ) ص 239

⁴ انظر: الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام ، علي عبد الواحد وافي (مصر. مكتبة نهضة

مصر، 2003م) ص 150

وانقضت خمسة أعوام كرس فيه زرادشت كل وقته للتطوع. ومن خلال مباشرته لأوجاع الناس التي لا تنتهي بدأ يتساءل من أين تجيء كل هذه الشرور إلى العالم؟! حتى استحوزت فكرة معرفة مصدر الخير والشر على عقله، وامتلك جوارحه فلم يطق مواصلة عمله والاستقرار مع أهله، فقرر اعتزال الناس فترة من الوقت يعيش من خلالها ناسكاً يفكر في الخير والشر، عله أن يقف على مصدرهما ويخلص الناس من العناء الذي يواجهونه.

وهناك في جبل "سابلان" ظل وحيداً يفكر ويحاول فك سر هذا العالم، حتى انقذت في ذهنه فكرة أبتهج لها ابتهاجاً عظيماً، وأعتقد على أنه وقف على مصدر الخير والشر وأحاط علماً بسر الحكمة.

وجوهر فكرته هو: كما أن الليل والنهار لا يمكن أن تتغير طبيعتهما، فكذلك الخير والشر. الخير لا بد أن يكون خيراً دائماً، والشر لا بد أن يكون كذلك.

وعليه فعبادة الأوثان والتقرب لآلهة الخير لتوقع الشر ولآلهة الشر لتصنع الخير خطأ. فاللهة الخير لا يمكن أن تصنع شراً، وآلهة الشر لا يمكنها أن تفعل خيراً. هكذا آمن زرادشت بأن العالم تحكمه قوتان: خير واحد تشتمل قوته في (أهورا مزدا).

وشر واحد تشتمل قوته في (أهرمان).¹ وبينما هو مستقر في أفكاره أحس بنشوة روحانية تغمره وتنتشر في جنبات نفسه وتملؤها نورا، ورأى كائناً نورانياً كأنه عمود من نور يتقدم نحوه وأخبره بأنه (فوهوما) كبير الملائكة، وأمره بأن يخلع ملابسه ويستعد لرحلة إلى السماء للمثول بين يدي رب السماء نفسه فلم يلبث أن وجد نفسه في حضرة (أهورامزدا)، إله النور الأكبر، وهناك تلقى كلمات الحق وتعلم أسرار الوحي المقدسة واستمع إلى أمر النبوة.²

¹ انظر: موسوعة الأديان والمعتقدات الدينية، سعدون الساموك، الطبعة الأولى (دار المناهج، 1422هـ) (80-78/2)

موسوعة الأديان في العالم، الديانات القديمة، ص 271-274

² انظر: زرادشت الحكيم نبي قدامى الأيرانيين حياته وفلسفته، حامد عبدالقادر، (مصر، مكتبة نهضة مصر) ص 43-44

ولما عاد من رحلته أعلن قيادة الناس باسم "أهورا مزدا" من الظلام إلى النور ومن الشقاء إلى السعادة ومن الشر إلى الخير. وظل يجد في طلب في طلب النفوس الطاهرة المستعدة لتلقي الأسرار التي أدركها بطريق الوحي فلم يجد¹ وسار في دعوته عشر سنين متتالية متنقلاً فيها بين أرجاء إيران كلها وأبعد المسير حتى وصل إلى الصين. يقول صاحب الكامل في التاريخ عن هجرته: "فسار من أذربيجان إلى فارس فلم يعرفوا ما فيه ولم يقبلوه، فسار إلى الهند، وعرضه على ملوكها. ثم أتى الصين والترك فلم يقبله أحد؛ وأخرجوه من بلادهم، وقصد فرغانة فأراد ملكها أن يقتله، فهرب منها² وظل يجوب البلاد حتى جاوز الأربعين من عمره دون أن تثمر دعوته أي ثمرة، وأهورامزدا معه يؤيده ويقوي عزمته ويربط على قلبه ويثبت عقيدته بالوحي المتوالي، ويعده بأن الآخرة خير له من الأولى. وفي السنة الحادية عشر من نبوته -أي حينما جاوز العام الحادي والأربعين من عمره- بدت في أفقه طلائع النجاح فأمن به ابن عمته (ميتيوماه) وانتصر لدينه، فشد به أزره وقوى به دعوته.

واستمر يدعو دون أثر في قومه، حتى أوحى إليه أهورامزدا أن يتجه إلى "كشتاسب" ملك إيران³ ولم يكذب يمثّل أمام الملك حتى ارتفع صوته في حزم: "أنا زرادشت بستاما نبي الإله الأوحّد الحكيم جئت إليك أيها الملك لأحول قلبك عن الأصنام الشريرة التافهة إلى مجد إله حق خالد"⁴ واستطاع أن يتغلب على الحكماء والكهنة الذين جمعوا لمناقشته فيما جاء به.

كما استطاع بعد فترة أن يشفي جواد الملك من مرض عضال ألم به بعد أن عجز أطباء البلاط وكهنته عن علاجه.

¹ الأديان الحية نشؤها وتطورها، أديب الصعب الطبعة الثانية (بيروت، دار النهار، 1993م) ص 108

الحكماء الثلاثة، أحمد الشناوي (مصر، دار المعارف) ص 27-28

² ابن الأثير، (مكتبة الوراق الإلكترونية) (49/1)

³ الزرادشتية، مرجع سابق، ص 71-72

⁴ موسوعة الأديان والمعتقدات، مرجع سابق (81/2)

واعتنق الملك "كتشاسب" تعاليم زرادشت وآمن بالإله الواحد الحكيم، وأعلن أن زرادشت هو النبي الحق لهذه العقيدة، فأقبل الناس على الدين الجديد أفواجاً، حتى أعتنق الزرادشتية معظم أهل إيران وما جاورها من البلدان، خاصة بعض بلاد الهند وبعض بلاد اليونان.¹

هذا وقد قضى زرادشت نحبه في سنة 583 ق.م وهو في نحو السابعة والسبعين من عمره، في إحدى الهياكل المقدسة في بلخ، قتل وهو يقوم على خدمة النار في أثناء غارة للطورانيين على بلاد إيران، فقد وصلوا في وقت كان فيه زرادشت وثمانون كاهناً يقدمون الوقود للنار، فهجم عليهم الأعداء وطعنوهم بسيوفهم فخر الجميع صرعى، وسالت دمائهم فلطخت جدران المعبد وامتدت إلى النار المقدسة فأخذتها²

المطلب الثالث: أسفار الزرادشتية المقدسة :

يطلق على الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية اسم (الأبستاق) وهو تعريب لكلمة (الأفستا) التي تعني المتن أو الأصل أو السند. والمقرر في هذه الديانة أن الأبستاق موحى به من الإله أهورامزدا وليس من وضع زرادشت.

ويشتمل على ألف فصل مقسمة على واحد وعشرين سفراً، تحوي تفصيلاً لعقائد الديانة الزرادشتية وعباداتها وشرائعها وتاريخها.

وقد فقدت جميع نسخ الأبستاق بعد غزو الاسكندر لفارس سنة 330 ق.م وفقدت معها تفاسيره والمؤلفات التي كانت تشتمل على شيء من أجزائه .

ولم يظل لها أثر إلا في حواظ الموازنة والفقهاء الذين يتناقلونها فيما بينهم وينقلها الناس عنهم مشافهة . وفي النصف الأخير من القرن الميلادي الأول شرع "فولوجيس الأول" ملك فارس - من الأسرة البارثية - في تدوين ما بقي من حواظ الناس في الأبستاق

¹ انظر: موسوعة الأديان والمعتقدات، مرجع سابق (80/2-81)

² انظر: الأسفار المقدسة، مرجع سابق، ص 154-155

،وأكمل عمله هذا في القرن الثالث الميلادي الملك أردشير-مؤسس الدولة الساسانية- وبلغ ما تم تدوينه في هذين العهدين واحداً وعشرين سفراً تشتمل على ثلاثمائة وثمانية وأربعين فصلاً من فصول الأبستاق. وكما فقد الأبستاق القديم فقد الأبستاق الذي دون في عهد البارثيين والساسانيين.¹

ولم يبق منه الآن سوى خمسة أسفار هي:
سفر الجاثات:

وهي التراثيل التي اتفق العلماء على نسبتها إلى زرادشت نفسه والتي تتضمن أدعية وتضرعات زرادشت لأهورامزدا حتى يعينه على دخول الناس في دينه.
سفر اليسنا:

وفيه تصوير للعقيدة الزرادشتية في مضمونها الأول، كما يشتمل على أدعية وصلوات يتجه بها إلى الله وإلى الملائكة والكائنات المقدسة .
سفر الفديداد:

يحوي شريعة الزرادشتين وقوانينهم التي يسرون عليها في الحياة مثل: أحكام الزواج والجنائز، الطهارة من النجاسات،.....
سفر الفسبرد:

ويشتمل على أدعية وصلوات مكملة لما في " سفر اليسنا " وترتل في مناسبات خاصة، كما يتضمن ذكر الأشياء المقدسة عندهم مثل: الماء، والتراب، والنار ابنة أهورامزدا...
سفر اليشتات:

مجموعة من مدائح وتضرعات وعبادات وقرايين وهي أناشيد تتلى في الثناء على الملائكة المكرمين يتخللها أقاصيص تاريخية.
خردة أفتستا:

¹ انظر: الأسفار المقدسة، مرجع سابق، ص 156-157

سفر جامع لأدعية وصلوات تتلى في أوقات من اليوم وفي الأيام المباركة وفي الأعياد الدينية وغيرها. مثل:

الأدعية الخمسة: وهي أدعية تخاطب الشمس والقمر وغيرهما، الكاتاه الخمس، أدعية الأيام الثلاثين (سيروزه).¹

وفي القرن السابع وضعت شروح جديدة على أسفار الديانة الزرادشتية وتعرف هذه الشروح بالمصادر البهلوية، وأهمها كتابان:

بنداهش: ويتناول مسائل تتعلق بأصل الكون.
دنكارت: وهو دائرة معارف لمآثورات دينية²

المطلب الرابع: الإله الزرادشتي:

وجه زرادشت أتباعه إلى الإيمان بأهورا مزدا الإله الحق وتوحيده، ووصفه بأرفع ما يعرف الناس في زمانه من صفات التنزيه، فهو قديم أزلي قادر على كل شيء ولا يسمو عليه شيء، وهو معين من لامعين له، وراعي الفقراء والأغنياء على حد سواء

³ وهذا الإله البارئ هو خالق النور والظلمة ومبدعهما، وهو واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند. ومخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث، إلا نتاج امتزاج النور بالظلمة لحكمة رآها الحكيم في التراكيب، وهما يتقاومان ويتغلبان إلى أن يغلب النور الظلمة والخير الشر، ثم يتخلص الخير إلى عاله وينحط الشر إلى عاله.⁴

ولم تدم الزرادشتية في ثوبها التوحيدي الذي جاء به زرادشت طويلاً، بل خطت خطوات حول التشنية والتعدد ووصف الإله بما لا يليق، ويتضح هذا من خلال النظر فيما ورد عنهم من كتابات والتي تصف الإله بصفات النقص ومنها:

-أهورا مزدا يفتقر إلى معاون ومسائر له في الكون:

¹ انظر: الزرادشتية، مرجع سابق، ص 83-91، الأسفار المقدسة، مرجع سابق ص 158-159

² انظر: الديانات الوضعية، مرجع سابق، ص 215-216

³ موسوعة الأديان والمعتقدات، مرجع سابق، (82/2)

⁴ الملل والنحل، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد كيلاني، (بيروت، دار المعرفة) (1/237-238)

الإله الزرادشتي لا يقف وحيداً ليدبر أمور الكون، فهو لا يقوى على ذلك، ولهذا يستعين ببعض الكائنات ذات الصبغة الإلهية، والتي تضاهي -أحياناً- قدرته.

ففي الأبستاق يطلب أهورا مزدا العون من الملائكة التي أعطيت مكانة عالية ورفعت في مصاف الألوهية¹ بل يصرح بأنه لولا المساعدة المقدمة من الفرافاشي² لكانت البشرية والحيوانات قد انقرضت وكان العالم المادي عرضة للسقوط تحت سلطة الكذب.

إضافة إلى ذلك فإنه يحتاج إلى من يعاونه في الآخرة كي يقوى على محاسبة الخلائق، هذا إن لم يكن يوكلها إلى الملائكة الثلاثة³

-إشراك غير أهورا مزدا في العبادة:

الإله في معتقد الزرادشتيين كما سبق يحتاج إلى من يعاونه ويسانده في تسيير أمور الكون ولذا فالعبادة لا توجه له وحده والأدعية والتضرعات والصلوات ليست له خالصة، بل يشترك فيها معه غيره.⁴

-أدعاء الولد لأهورا مزدا:

لا عجب إثر ما سبق أن ينسب له الولد. فتذكر المصادر الزرادشتية أن لأهورامزدا ابنين: أحدهما : جيومارت " كيومرت": الذي ظل يغالب الشيطان أهرمان ثلاثين عاماً وتوفي بعدها ومنه تولد أول زوج بشري. تقول أسطوريته في الأبستاق:

(جيومارت هو ابن أهورا مزدا، له شكل دائري ويلمع كالشمس وهو مخلوق من النار، وقد أرسل أهورا عام النوم كي يخف أذى أهريمان على كيومرت، وعندما أستيقظ وجد الدنيا مظلمة والشمس والقمر في هياج، وأهريمان يريد القضاء على كيومرت فأرسل له ألفاً من العفاريت وتوفي بعد أن قاومهم ثلاثين عاماً، ولما توفي انبعثت المعادن من جسده.....حيث يتولد أول زوج بشري ميسا وميشانه)⁵

¹ انظر: الزرادشتية، مرجع سابق ص 148

² هي الملائكة التي تتولى حراسة ورعاية كل رجل وامرأة وطفل مؤمن -بالدين الزرادشتي

³ سروش، وراشنو، ومثرا. انظر: الزرادشتية، مرجع سابق، ص 149

⁴ انظر: الزرادشتية، مرجع سابق، ص 150

⁵ الزرادشتية، مرجع سابق، ص 152

أما الولد الثاني فهو - كما يعتقد الزرادشتيون - أنها النار ابنة أهورامزدا التي كانت في بداية الأمر مظهراً عادياً وعلامة على الدين الزرادشتي رمز بها زرادشت حتى يتمكن الناس من تصور قوة الإله الغيبية¹ لكن هذه النار تفاقم أمرها وربما تقديسها حتى ظنوا أنها ابنة أهورامزدا وعبدوها جاء في سفر الفنديداد: (والنار ابن أهورامزدا)²

ويذكرون في بعض أدعيتهم (أيتها النار يا ابنة الإله أهورامزدا الكريم إنك من روحه... إننا ننجذب إلى قربك بعقل متفتح وفكر نير بالطهارة والورع ، ننجذب إليك بمآثرنا الخيرة وكلمات الحكمة الخيرة خذينا إلى جوارك³

- مصارعة أهورامزدا لأهريمان:

يعتقد الزرادشتيون أن أهورامزدا صارع أهرمان كثيراً وأصيب إثر هذه المصارعة بكثير من الأمراض ،ففي الفنديداد يقول أهورامزدا: (عاني اللص -أي أهرمان- وأصابني بـ999,99 مرضاً)⁴

فالإله يتجسد ويصارع بل يكل ويتعب ويمرض .وأيضاً لا قدرة له على إيقاف أهريمان عن إفساد ما خلقه وأبدعه، تقول الرواية الزرادشتية عن هجوم أهريمان على الكون:

(يمزق محيط السماء فشتت النجوم، وأحل الاضطراب في نظام السماء ثم غطس في البحر فأفسد ماءه بالملح، وجفف الينابيع، وسمم النباتات ،وأذل مزروعاته ،ونشر فيها الصحاري ،وبث فيها الأفاعي والعقارب....هكذا زرع الشيطان الموت والفساد في خلق الله)⁵ -الإله يتعب فيستريح:

يعتقد الزرادشتيون أن الإله استراح لمدة خمسة أيام أثناء خلقه للكون ، ومن هنا يحتفل الزرادشتيون بهذه الأيام الخمسة ، وهي عندهم أيام عيد "كنبهار"⁶

¹ انظر: موسوعة الأديان والمعتقدات،(83/2)

² الزرادشتية، مرجع سابق، ص152

³ المرجع السابق، ص152

⁴ المرجع السابق، ص155

⁵ المرجع السابق، ص155

⁶ المرجع السابق، ص156

المطلب الخامس: عقيدة الزرادشتيين في زرادشت:

كانت حياة زرادشت على ما سبق حافلة بالعطاء والصبر والمثابرة عسى أن يؤمن الناس بأهورامزدا ويصدقوا بنبوته. وفعلاً نجحت دعوته، وشكر الزرادشتيون سعيه، فجعلوا الإيمان بنبوته الركن الثاني من أركان الدين الزرادشتي¹. وما ينبغي معرفته هنا عن اعتقادهم فيه مايلي:

-الإرهاصات والمعجزات:

يعتقد الزرادشتيون على حسب الروايات والأساطير الزرادشتية أن زرادشت حدث له بعض الإرهاصات والمعجزات قبل ولادته وبعدها. منها:

أن راعياً اسمه (بوروزهازيو) من قبيلة بستاما تزوج من امرأة تدعى "دوغدوما" وفي يوم من الأيام وفي أثناء رعيه لماشيته ، تراءى له ملكان نورانيان وقدا له نبتة الهوما المقدسة ، وأمره بأن يعصره ويشربه مع زوجته لأنه يحمل كيان طفل روحاني . ونفذ الراعي ما أمر به وحملت الزوجة . وفي أثناء حملها رأت في منامها نوراً عظيماً يخاطبها ويقول: بأن الطفل الذي تحمل به سيكون نبي أهورامزدا. وبعد ولادة زرادشت أستقبل الحياة بالضحك وليس بالبكاء فدب الرعب في قلب "دوران سرون" كبير كهنة بلاد فارسي آنذاك ، لعلمه بأن المولود الجديد سيقضي على السحرة والكهنة وعبادة الأصنام عندما يكبر، فقام بعدة محاولات للقضاء على الطفل وباءت جميعها بالفشل .

منها: أنه أرسل في طلبه ولما جاء به إليه وضعه وسط النار وأنطلق هو ومن معه خارج المعبد. أما أم الطفل فبحثت عن ابنها فلم تجده فانطلقت إلى معبد النار تصلي وتدعو الآلهة عسى أن ترده إليها، وهناك وجدت طفلها يلعب وسط النار دون أن يمس بأذى² أما المعجزات المصاحبة لدعوته فيذكر منها: شفاء لجواد الملك كشتاسب بعدما تقلصت أرجله

¹ انظر: موسوعة الأديان في العالم، مرجع سابق، ص 286

² انظر: الديانات الوضعية، مرجع سابق، ص 210

ودخلت في بطنه وعجز الأطباء عن علاجه. ورده لبصر رجل أعمى حينما أمرهم بأن يأخذوا حشيشة ويعصروا ماءها في عينيه ففعلوا¹

- نزول الوحي على زرادشت:

يعتقد الزرادشتيون أن زرادشت تلقى الوحي حينما بلغ من العمر ثلاثين عاماً، وهو منغمس في التفكير والتأمل. ويعتقد الزرادشتيون كذلك أن "فوهومانا" هو الذي أخذه وصعد به إلى السماء ليحظى بشرف المثل بين يدي أهورامزدا، ومن هنا كانت عقيدة المعراج إلى السماء بزرادشت وهذا ما حدث به زرادشت قائلاً: (أيها الناس أني رسول الله إليكم فإنه لا يكلمني وحياً بواسطة رسول من الملائكة، بل إليه رفعتي، وبني أسري كبير الملائكة، وإلى حضرته قادمي وهناك تجلّى لي الإله، وعرفني الشريعة، وعلمني الدين فقد سلمني إليكم هذا الكتاب-أي الأستاق-)²

- زرادشت رسول ونبي آخر الزمان:

لم يكن زرادشت نبياً فقط بل هو نبي ورسول آخر الزمان كما قال عن نفسه: (أيها الناس أنني رسول الله إليكم لهدايتكم بعثني الإله في آخر الزمان، أراد أن يختم بي هذه الحيلة الدنيا فجئت إلى الحق هادياً)³

لكن الزمان يمضي، والأنبياء بعد زرادشت يبعثون، فكيف يصح أن يكون نبي آخر الزمان...!! هنا أدرك علماء الزرادشتية المأزق والخرج، فجعلوا يحاولون تفسير وإيضاح هذه العقيدة فقالوا: "إن الله خلق العالم في ستة أدوار، وكل دور يتألف من شهرين، ومن ثم فإن للكون زمناً، والزمّن الكوني يتألف من ستة شهور هما اثنا عشر، ولكن السنة الكونية ليس زمنها الزمن الذي تعرفونه، وإنما الشهر الواحد منها مقدار ألف سنة، والزمن المحدد للعالم ومقداره اثنا عشر ألف سنة، ثلاثة آلاف منها مضت في خلق العالم الروحاني، وثلاثة

¹ انظر: الملل والنحل، مرجع سابق، (283/1)، ذكر الشهرستاني أن هذا ناتج عن معرفته بخاصية الحشيش وليس من المعجزة في شيء.

² الزرادشتية، مرجع سابق ص 157

³ المرجع السابق، ص 158

آلاف منها مضت في إنشاء العالم المادي، وثلاثة آلاف فصلت بين وجود ميا وزرادشت، وثلاثة آلاف بين زرادشت ونهاية الدنيا ومن هنا فقد ولد زرادشت في نهاية الزمن"¹ وبذا رسخت عقيدتهم في أن زرادشت ولد وبعث في نهاية الزمن، رغم أنهم وقعوا في مشكلة أخرى وهي انتهاء الزمن المحدد للعالم-الذي حدده الزرادشتيون- دون انتهاء الحياة!! وحتى يخرجوا من هذا المأزق بالكلية قالوا بعقيدة المخلص.

- عقيدة المخلص والمهدي المنتظر:

قالوا إن الفكرة التي علقت بالأذهان عن موت زرادشت خاطئة، لأن زرادشت لم يميت إلا في الظاهر، وإنما هو حي. فقد نزل للاغتسال في البحيرة المقدسة، فنزلت في مياها بذرتة الخصبة، ومن ثم فهو بها وفيها حي، وستظل هذه البذرة في هذه البحيرة المقدسة ثلاثة آلاف سنة من بعد زرادشت حتى قبيل نهاية العالم، فإذا ما حان الحين نزلت عذراء طاهرة البحيرة للاغتسال فتتعلق هذه البذرة بها، وتحمل بمن سيحيي إلى العالم مخلصاً وهادياً وينعت بـ"ساؤشيانث" أو المهدي وبه ستنتصر العدالة، ويمحق الشر فترة من الزمن مقدارها سبعة وخمسون عاماً، وبانتهائها ينتهي الوجود²

-الحلول:

يعتقد الزرادشتيون أن روح الإله أهورامزدا حلت في زرادشت، يقول قدامى الزرادشتيين: "أن زرادشت هو من جوهر روح الله التي تقمصت جسد هذا المخلوق البشري بعد أن مر جوهر الروح بسلسلة الكائنات والأجرام العلوية، وحلت في رحم المرأة التي قدر لها أن تكون أمّاً لهذا الرجل الرباني"³

فروح الإله حلت أولاً في رحم الأم، ثم في جسد الابن زرادشت.

المبحث الثاني: الكونفوشيوسية:

مدخل:

¹ المرجع السابق، ص 158

² انظر: الزرادشتية، مرجع سابق، ص 159

³ المرجع السابق، ص 160

كانت الصين مكونة من مجموعة هائلة من الممالك الصغيرة ودول المدن ، وكلها تعترف بولاء مفكك العرى، وتدفع رسوماً إقطاعية لإمبراطور كاهن واحد هو: (ابن السماء الكاهن الأعظم). و بعد سقوط حكم أسرة شانج في 1125ق.م، خلفت أسرة تشو أمور الحكم ، ففوضت السلطة الإدارية لزعماء القبائل والنبل الذين تربطهم بهم علاقات طيبة، و قدموا مساحات الأرض مقابل الصداقة والتعاون، فساد النظام الإقطاعي ، في وقت لم يستطع فيه حكام تشو من السيطرة على الحكام الإقطاعيون . فثارت القلاقل وتردت الأوضاع حتى استطاع هؤلاء الحكام الإقطاعيون من شن هجوم على عاصمة التشو وقتل ملكها واغتصاب سلطته.

فسادت الصراعات والحروب، وأصبح التآمر والعنف طابعاً للحياة السياسية آنذاك، فغلبت النفعية على الأخلاق ، وساد الغش والخداع....

وفي ظل هذا العصر الذي اتسم بالتفكك السياسي والاجتماعي والتردي الأخلاقي ، ظهرت الكونفوشيوسية تدعو لإحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم على يد الفيلسوف الصيني "كونفوشيوس" الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد¹

المطلب الأول: المؤسس نشأته وحياته:

ولد كونفوشيوس سنة 551ق.م في مدينة "تسو" إحدى ممدن مقاطعة "لو" لأسرة فقيرة ذات أصول عريقة، وعاش يتيماً فأضطر إلى العمل بالرعي وهو صغير، وإلى جانب إهتمامه بحرفته تلقى علومه على يد أستاذه الفيلسوف "لوتس" صاحب النحلة الطاوية² وفي الثانية والعشرين من عمره أنشأ مدرسة ليتلقى فيها الشبان ذوو المواهب الخاصة أصول الفلسفة الأخلاقية والسياسية، ولقد بلغ عدد الذين تلقوا الحكمة على يديه ثلاثة

¹ انظر: مقدمة كتاب الحوار، كونفوشيوس، تعريب: محمد مكي (القاهرة، المطبعة السلفية) ص 10

انظر: الإنسان في ظل الأديان، ص 231

² هي إحدى الديانات الصينية القديمة، ترى ضرورة العودة إلى الحياة الطبيعية، والوقوف موقفاً سليماً من الحضارة والمدنية. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، الطبعة الخامسة (الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1424هـ/ 729/2)

آلاف تلميذ¹. وبجانب عمله كان يقوم بوظيفة المستشار السياسي لبعض الأمراء والولاة الذين كانوا ينتفعون بآرائه في حل ما يصادفهم من مشكلات.

وفي سنة 496 ق.م عين رئيساً للوزراء في ولاية "لو" فأقدم على إعدام بعض الوزراء السابقين، وعدد من رجال السياسة وأصحاب الشغب، كما وضع مراقبة صارمة على التجار لمنع الغش والاحتكار ... واستمر في الإصلاح حتى أصبحت مقاطعة "لو"

نموذجاً للمدينة الفاضلة التي تعيش الرخاء والأمن والسلام والعمران.²

مما أقلق بال أهل ولاية "تسي" خشية أن تبسط نفوذها عليها، فدبر وزراء هذه الولاية حيلة تستهدف صرف حاكم "لو" عن أمور ولايته حتى يتطرق إليها الضعف والفساد. وبالفعل نجحت حيلتهم، وأهمل الحاكم شؤون الدولة إهمالاً مريباً، ولم يستطع الحكيم أن يثني الحاكم عن طريقه، فأضطر إلى ترك الولاية والتنقل من إقليم إلى إقليم يعلم الشبان وينصح الولاة، حتى أدركته الوفاة عام 479 ق.م وهو غير راض تمام الرضا عن إنجازاته لكنه عهد إلى تلاميذه متابعة الطريق.³

المطلب الثاني: الكتب الكونفوشيوسية المقدسة :

تتسم التعاليم الكونفوشيوسية بالكلاسيكية، في قيامها على إجلال الماضي، يتضح ذلك جلياً في قول كونفوشيوس: "إني ناقل ولست مبدعاً وأنا أؤمن بالأقدمين.... والحق أنني لم أولد حكيماً، لكني أحب التراث القديم وأعمل جاهداً كي أتعلمه"⁴

فقد احتكرت مدرسة كونفوشيوس المعارف الصينية السابقة عليها، فنقلت كتب السابقين في التاريخ، والدين، والموسيقى من لغتها القديمة التي لم يكن يعرفها إلا أقلية ضئيلة من مجتمع عصرهم إلى اللغة الصينية السائدة آنذاك. كما صاغوا هذه المعارف صياغة قربت

¹ انظر: كونفوشيوس النبي الصيني، حسن عسافان، (مصر، مكتبة نهضة مصر) ص5

² انظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عطار، (153/1)

³ انظر: ذيل الملل والنحل، محمد كيلاني، (مصر، مكتبة مصطفى البابي، 1396هـ) (20/2)، كونفوشيوس، مرجع

سابق، ص9

⁴ الأديان الحية، مرجع سابق، ص85

فهمها إلى أذهان الشعب الصيني، وأضافوا لها نظريات كونفوشيوس في السياسة، والدين، والاجتماع، والفلسفة، والموسيقى .

وعليه فالكتب الكونفوشية تنقسم إلى قسمين:

1) الكتب الخمسة القديمة (الكلاسيكيات الخمس):

وهذا القسم يشتمل على خمسة كتب كان يدرسها كونفوشيوس. وهي:

1. كتاب الأغاني (الشعر): يحتوي على ثلاثمائة من الأغنيات إلى جانب ستة تواشيح دينية.
2. كتاب التاريخ: يشتمل على الوثائق التاريخية الخاصة بالصين في عصورها السحيقة.
3. كتاب التغيرات: يبين فلسفة وتطورات الحوادث الإنسانية. وقد حوله كونفوشيوس إلى كتاب علمي لدراسة السلوك الإنساني.

4. كتاب الربيع والخريف: كتاب تاريخي يؤرخ للفترة الواقعة بين 722 ق.م - 481 ق.م

5. كتاب الطقوس: وفيه وصف للطقوس الدينية، مع معالجة النظام السياسي لأسرة "تشو" الأسرة التي لعبت دوراً مهماً في التاريخ الصيني.¹

2) الكتب الأربعة:

وهي الكتب التي ألفها أتباع كونفوشيوس وتلاميذه ، والتي دونوا فيها أقوال أستاذهم، وفسروها وعلقوا عليها، وتعد المرجع الرئيسي للديانة الكونفوشية، لأن الكتب الخمسة القديمة وإن كانت مؤلفة من قبل كونفوشيوس، إلا أنها تختص بفلسفة السابقين وتاريخهم أكثر مما تعبر عن وجهة نظر كونفوشيوس وفلسفته.

وهذه الكتب هي:

1. كتاب المنتخبات: ويحوي أقوال كونفوشيوس، التي يظن أنها فصلت عن سياقها واختصرت حتى باتت تشكل جملاً حكيمة قصيرة. ويطلق عليه "أنجيل كونفوشيوس"²
2. كتاب التعليم الكبير: ويهدف إلى تعليم الأشراف والأمراء.

¹ انظر: حكمة الأديان الحية، جوزيف كاير، (بيروت، دار مكتبة الحياة) ص 93-97 ، البيان في مقارنة الأديان ، أسعد

السحمراني، الطبعة الأولى (لبنان، دار النفائس، 1422هـ) ، كونفوشيوس، مرجع سابق، ص 27-28

² انظر: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، (752/2)

3. كتاب مبدأ الوسط : وفيه عرض واف للمبادئ الفلسفية التي نادى بها كونفوشيوس ويدور معظمه حول العلاقة بين الطبيعة البشرية والنظام الخلقي في الكون.

4. كتاب منسيوس: ويعد المحاولة الأولى لتوضيح فلسفة الكونفوشيوسية، وعرضها على نحو مقبول، إذ قام منسيوس فيه بعرض أهم المعلمين الكونفوشيوسيين الأوائل وذكر شيئاً من كتاباتهم وأقوالهم¹

المطلب الثالث: موقفهم من الإله:

إن الآثار القديمة الثابتة في الصين تدل على أن الصينيين كانوا قديماً يعتقدون بوجود إله واحد، يصفونه بالرب العظيم، ومالك الأكوان الخفي، والعقل غير المتناهي، وبأنه الإله الذي لا يجابي، بل يوجد بلطفه ورعايته على الإنسان الفاضل، ويعتني بالأرض وحضوره فيها دائم وإن كان غير منظور.

وبمرور الزمن لم يبق توحيد الإله على حاله، بل انتقل إلى الاعتقاد بأنه شخص عظيم حكم العالم بأسره بجميع مظاهره الطبيعة والاجتماعية² ولم يخرج كونفوشيوس وأتباعه عن هذا الاعتقاد، على الرغم من الاضطراب الديني والفلسفي والفكري الذي كان سائداً آنذاك.

فالسماء عنده تعبد باعتبارها الإله الأعظم، والأرض تعبد باعتبارها الأخرى إلهاً، وأرواح الأجداد، والشمس والكواكب.... وغيرها من قوى الطبيعة تعبد، ظناً أنها تعين المرء في تسير أمور حياته.

وكان كونفوشيوس يرمز إلى الإله بالحق أو الصديق فيقول: "إن الحق المطلق غير قابل للتخطيط، ولما كان غير قابل للتخطيط فهو خالد، ولما كان خالداً فإنه موجود بذاته، ولما كان

¹ انظر: الأديان الحية، مرجع سابق، ص 84

² انظر: كونفوشيوس، مرجع سابق، ص 122

موجوداً بذاته فهو لانهائي، ولما كان لانهائياً فهو واسع وعميق، ولما كان واسعاً وعميقاً فهو متعال روحي" ¹ وكثيراً ما كان يتحدث عن السماء

(تيان) ² باعتبارها قوة كونية معنوية غامضة لا تقهر، وكل شيء في الكون خاضع لمشيئتها ويجري مجراها. وكانت السماء بالنسبة إليه المرفأ الوحيد الذي يلجأ إليه عندما يصيبه اليأس والإحباط من البشر ويتعذر عليهم فهم تعاليمه ومبادئه وكان كثيراً ما يردد: (ولكن السماء تفهمني) ³

المطلب الرابع: مفهوم الوحدة بين (تيان) والإنسان:
اتفق العلماء الكونفوشيوسيون قديماً وحديثاً على أن عقيدة الوحدة بين "تيان" والإنسان هي العقيدة المركزية التي بني على أساسها الهيكل العام للدين الكونفوشيوسي كله .
ولهذه العقيدة وجوه عدة أذكر بعضها بإيجاز:
- الوحدة الأخلاقية بين "تيان" والإنسان:

ترتبط عقيدة الوحدة ارتباطاً وثيقاً بقضية الأخلاق المشرقة-سيأتي بيانها- عند كونفوشيوس، لذا لا عجب أن يكون الوجه الأول من أوجه هذه العقيدة ظاهراً في الوحدة الأخلاقية.

جاء في كتاب التغيرات: "إنما الرجل الكبير من كان في الوحدة مع السماء والأرض في أخلاقه، ومن كان في الوحدة مع الشمس والقمر في إشراقه، ومن كان في الوحدة مع الفصول الأربعة في ترتيبه، ومن كان في الوحدة مع الأرواح والملائكة في بركته وشؤمه" ⁴
كما جاء أيضاً أن لـ "تيان" أربعة أخلاق أو صفات أساسية، هي:

(يوان) أي الخالق.

(خينغ) أي الإحاطة.

¹ الكونفوشيوسية دراسة تحليلية نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، ناصر الشهراني، (المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، 1427هـ) ص 205

² تعني في اللغة الصيني الإله الخالق الواحد، كما تعني في الوقت نفسه قبة السماء المادية المخلوقة.

³ المرجع السابق، ص 206

⁴ الكونفوشيوسية، مرجع سابق، ص 209

(لي) أي الإفادة.

(جشينغ) أي التمكين.

ومن هذه الأخلاق السماوية الأربعة نشأت الأخلاق الإنسانية الأربعة:

(الرحمة ، الصلاح ، الأدب ، الحكمة) = الأخلاق المشرقة.

فمن صفة الخلق السماوية نشأت الرحمة الإنسانية، ومن الإحاطة السماوية نشأ الصلاح الديني، ومن الإفادة السماوية نشأ الأدب الإنساني ، ومن التمكين السماوي نشأت الحكمة الإنسانية¹

-الوحدة الكونية بين "تيان" والإنسان:

فكما أن الكون وحدة متكاملة متناسقة تسير وفق قوانين محددة فكذلك الإنسان في تكوينه، غير أنه عالم صغير.

ومن مظاهر هذه الوحدة كما يزعمون:

يوجد في السماء شمس وقمر، ويوجد في الإنسان عين وأذن.

السماء لها أربعة فصول، والإنسان له أربع جوارح.

السماء لها برودة وحرارة، والإنسان له سرور وغضب.

السنة فيه اثنا عشر شهراً، والإنسان له اثنا عشر مفصلاً عظيماً كبيراً .

.....إلى قائمة لا تنتهي من مظاهر الوحدة²

- الوحدة بين "تيان" والإنسان مقام روحي رفيع:

فالإنسان لا يصل إليه إلا بعد إخلاص النية، وتقويم القلب، وتركيز النفس، وعلامته أن يتخلص الإنسان من الأهواء والشهوات، والرغبة النفسية، ويصل إلى الأخلاق السماوية عن طريق تجلية الأخلاق المشرقة. ومن علامته أيضاً أن لا يرى الإنسان لنفسه وجوداً مستقلاً عن الكون وما فيه ، بل يرى أنه والكون وحدة متكاملة متماسكة.³

¹ المرجع السابق، ص 209

² المرجع السابق، ص 210

³ المرجع السابق، ص 211

- وحلة المجاورة بين "تيان" والإنسان:

ذلك أن الإنسان وما في الكون كلها مخلوقات لـ "تيان" فهو يدبر كل ما يحدث فيه ، وهو يسمع، وينظر، وينصر، ويهلك، ولكن الناس لا يرون ذلك بأعينهم ..! والسبب: أن "تيان" يسمع بواسطة سماع الشعب، وينظر بواسطة نظرهم. فالوحدة بين الإنسان وتيان ظاهرة ليس فيها خفاء.¹

المطلب الخامس: موقف الكونفوشيوسية من النبوة. وفيه ثلاث مسائل:

الأولى: موقفهم من الوحي:

مصدر المعرفة لدى الكونفوشيوسية إما الفطرة الإنسانية الخيرة، وإما القلب الإنساني العارف. وعليه فلا إيمان بمبدأ الوحي الإلهي عندهم ، لأنهم لا يعرفون أن الله ينزل وحيه وكتبه على من يشاء من عباده المرسلين، لهداية الخلق إلى الصراط المستقيم. ومذهبهم - كما لا يخفى - يؤدي إلى إشكالية حقيقة المعرفة وصحتها ..! وقد أجابوا عن ذلك بأن: "سنة التوسط" هي الضابط المعياري للمعرفة، وأن لها علاقة قوية مباشرة بعقيدة "الوحدة بين تيان والإنسان"² ومادامت هذه الوحدة فيمكن للإنسان أن يصل إلى مقام رفيع لا يكون فيه مثقال حبة للأهواء والشهوات النفسية، وهو مقام الاستقرار في كمال الخير، وهناك تؤمن معرفته ويعتمد عليها، لأنه حينئذ لا يأخذ معرفته إلا من مقام "الوحدة بين تيان والإنسان" الذي تتجلى فيه الفطرة الإنسانية الخيرة المشرقة تجلياً واضحاً³

وقد جاء تعريف (سنة التوسط) في كتاب سنة التوسط:

"إنما تسمى حالة عدم ظهور الحب والبغض والحزن والفرح توسطاً، ويسمى حالة تقيدها بالشرعية بعد ظهورها تناسقاً، وإن التوسط هو الأصل الكبير للكون، وإن التناسق هو

¹ المرجع السابق، ص 211-212

² سبق الكلام عنها في المطلب الرابع.

³ الكونفوشيوسية، مرجع سابق، ص 213

الطريقة الموصلة في الكون، تتمكن السماء والأرض في مكانها عند بلوغ التوسط والتناسق وتترى الموجودات كلها عندهما" ¹

الثانية: مفهوم النبي لدى الكونفوشيوسية:

لا يمكن معرفة المعنى الاصطلاحي (للنبي) في الكونفوشيوسية إلا من خلال استعراض بعض ما ورد في كتبهم المقدسة من نصوص:

- ففي كتاب سنة التوسط:

"إن الصديق يصيب بدون جهد، ويحصل بدون تفكير، وهو يمشي متمكناً على طريقة التوسط فذلك هو النبي" ²

- وفي سفر الشريعة جاء:

"واضعها-أي الشريعة والموسيقى-يسمى نبيا ونخبها يسمى عارفا" ³

- وورد في كتاب منشيوس:

"إنما النبي من تم الأخلاق والمعاملات الإنسانية" ⁴

- وأيضاً:

(سئل منشيوس ولكن هل الأستاذ كان نبياً..؟! أجاب قائلاً: لقد سألت (تس قونغ)

كونفوشيوس في القديم قائلاً: هل الأستاذ نبي..؟! قال: كونفوشيوس:

" النبي لا أستطيع ، إنما أطلب المعرفة من غير ملل، وأعلم من غير تعب."

قال: (تس قونغ): طلب المعرفة من غير ملل حكمة، والتعليم من غير تعب رحمة، لقد جمع

بين الحكمة والرحمة فالأستاذ كان نبياً. ولقد كان نبياً وإنما لا يقيم نفسه على مرتبة النبي) ⁵

- وورد في كتاب الحوارات:

¹ المرجع السابق، ص 213-214

² المرجع السابق، ص 216

³ المرجع السابق، ص 216

⁴ المرجع السابق، ص 216

⁵ المرجع السابق، ص 216

(قال تس قونغ :إذا كان رجل يعطي الناس عطاء واسع النطق، ويعينهم على نوائب الحق جميعاً فماذا نقول فيه...؟! هل يوصف بأنه رجل رحيم...؟!)

قال: الأستاذ: "كيف يوصف بأنه رجل رحيم فقط...!! بل لابد أن يكون نبياً " ¹
يتضح من خلال ما سبق :

أن النص الأول من هذه النصوص يفيد أن النبي من يولد عارفاً.

والثاني: يفيد أن النبي هو واضع الشريعة والموسيقى وشارعها.

والثالث يفيد أن النبي من تم الأخلاق والمعاملات.

والرابع يفيد أن النبي من جمع بين الحكمة القولية والعملية.

والخامس يفيد بأن النبي يرشد الناس ويمضي الحق عليهم.

وعليه فمن اتصف بصفة من هذه الصفات حق له أن يكون نبياً.²

الثالثة: هل كان كونفوشيوس نبياً...؟!

لا يوجد نص واضح فيما نسب إلى كونفوشيوس يدل بوضوح على أنه ادعى النبوة،

أو تحدى بها، أو زعم أنه أوحى إليه.³ ولا تدعي الكونفوشيوسية أن أسفارها وكتبها وشرائعها وحي منزل من " تيان"، لأنها ترى أن المعرفة تؤخذ من قلب النبي وفطرته المحبولة على الخير ولا تؤخذ من الوحي الواضح.

لكن أصبحت مكانة كونفوشيوس تتعظم بعد موته يوماً بعد يوم ،حتى صار أعظم الأنبياء في تاريخ الصين -في نظر الصينيين - وقالوا: (إن النبي بما أنه نبي فيجب أن يكون كامل الخلق والمعرفة، فلا بد أن يكون متواضعاً للغاية، ولا يعلن أنه نبي، لأن كامل الخلق والمعرفة لا يدعي بأنه كامل الخلق والمعرفة، ولا بد أن يأتي الاعتراف به من عند غيره لإثبات نبوته).⁴ ولم يكتف بعضهم بهذا بل جعلوه إلهاً مثل السماء لأنه ندها وكفوها فعبده.⁵

¹ المرجع السابق، ص، 217

² انظر: الكونفوشيوسية، مرجع سابق، ص 217

³ انظر: مقدمة كتاب الحوار، مرجع سابق، ص 9، ذيل الملل والنحل، مرجع سابق، (21/2)

⁴ الكونفوشيوسية، مرجع سابق، ص 218

⁵ انظر: الديانات والعقائد، مرجع سابق، ص 160

الخلاصة:

ففي نهاية هذا البحث يمكن إيجاز أبرز ما توصلت إليه بما يلي:

1. شخصية زرادشت شخصية حقيقة ظهرت في القرن السابع قبل الميلاد.
2. قامت دعوة زرادشت على التوحيد ودعت إليه، بيد أنه لم يدم على حاله ، فسرعان ما خالطه التعدد والتثنية ووصف الإله بما لا يليق.
3. عقيدة الزرادشتيين في نبوة زرادشت تنبع من معتقدهم بنزول الوحي عليه.
4. تثبت الزرادشتية لزرادشت المعراج والرؤية .
5. يعتقد الزرادشتيون بأن زرادشت مازال حياً ، وعلى هذا الاعتقاد بنيت عقيدة المخلص (ساؤشيان).
6. الكونفوشيوسية دين من الأديان وليست فلسفة أخلاقية، بدليل أن كونفوشيوس كان رجل دين ، تمثلت فيه جميع العقائد الصينية القديمة.
7. ليست مؤلفات كونفوشيوس إلا نقلا لفلسفة الأقدمين وتاريخهم.
8. تعد عقيدة الوحلة بين تيان والإنسان-بجميع وجوهها- هي العقيدة المركزية التي بني على أساسها الهيكل العام للدين الكونفوشيوسي.
9. لم يكن كونفوشيوس نبياً، ولم يدعي النبوة لنفسه، وإنما لقب وهبه إياه من بعده إجلالاً لشأنه.

الهوامش :

فهرس المراجع:

المراجع

- (1) الأديان الحية نشؤها وتطورها، أديب الصعب الطبعة الثانية (بيروت، دار النهار، 1993م)
- (2) الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام ، علي عبد الواحد وافي (مصر، دار نهضة مصر، 2003م)
- (3) الإنسان في ظل الأديان ، عمارة نجيب (الرياض، مكتبة المعارف، 1400هـ)
- (4) حكمة الأديان الحية، جوزيف كاير، (بيروت، دار مكتبة الحياة)
- (5) دراسات في الأديان الوثنية القديمة ، أحمد علي عجيبة، الطبعة الأولى (القاهرة، دار الآفاق العربية ، 2004م)
- (6) ذيل الملل والنحل، محمد كيلاني، (مصر، مكتبة مصطفى البابي، 1396هـ)
- (7) زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين حياته وفلسفته، حامد عبد القادر، (مصر، مكتبة نهضة مصر)

- (8) قصص الأنبياء، إسماعيل بن كثير، تحقيق: السيد الجميلي، (الطبعة الثانية، بيروت، دار الجبل 1410هـ)
- (9) كونفوشيوس النبي الصيني، حسن عسفان، (مصر، مكتبة نهضة مصر)
- (10) كتاب الحوار، كونفوشيوس، تعريب: محمد مكي، (القاهرة، المطبعة السلفية) ص10
- (11) البيان في مقارنة الأديان، أسعد السحمراني، الطبعة الأولى (لبنان، دار النفائس، 1422هـ)
- (12) الحكماء الثلاثة، أحمد الشناوي، (مصر، دار المعارف)
- (13) الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عطار.
- (14) الديانات الوضعية المنقرضة، محمد العربي (بيروت، دار الفكر اللبناني، 1995م)
- (15) الزرادشتية تاريخاً وعقيدة وشرعية دراسة مقارنة، خالد السيد (دمشق، دار خطوات، 2005م)
- (16) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (مكتبة الوراق الإلكترونية)
- (17) الكونفوشيوسية دراسة تحليلية نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، ناصر الشهراني، (المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، 1427هـ)
- (18) الكونفوشيوسية، بحث بإشراف الدكتور: محمد السحيم، 1427هـ
- (19) الملل والنحل، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد كيلاني، (بيروت، دار المعرفة)
- (20) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الطبعة الخامسة (الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1424هـ)
- (21) موسوعة الأديان والمعتقدات الدينية، سعدون الساموك، الطبعة الأولى (دار المناهج، 1422هـ)
- (22) موسوعة الأديان في العالم، الديانات القديمة، (بيروت دار كريس، 2001)

دور أئمة تيهرت الرستمية في تشجيع و تطوير الحركة الفكرية خاصة العلوم الدينية

الأستاذة فطيمة مطهري

جامعة أبي بكر بلقايد/ تلمسان

مدخل:

يقول ابن خلدون: "أعلم أن العلوم التي يخوض فيه البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلًا وتعليمًا هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره،